سير الزمان

مشكلة النمسا

نزاعها الداخلي

والنزاع حول الاحتفاظ باستقلالها

هنري : بوبي

على عرش التنين

الدمقراطية في فرنسا

هل تتحول فاشية

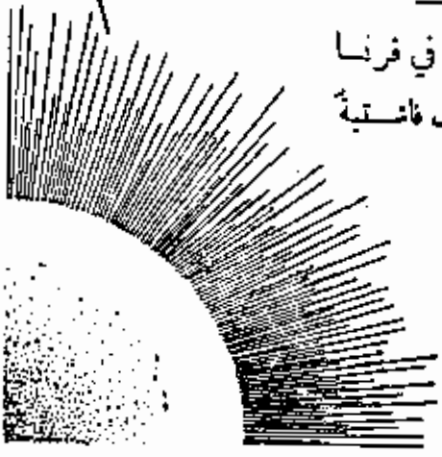

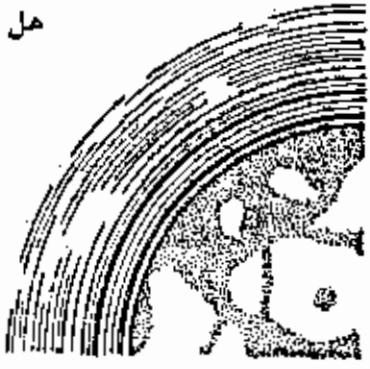

مشكلة النمسا

نزاعها الداخلي والنزاع حول الاحتفاظ باستقلالها

لم تكن الحرب الاهلية التي شبّت نيرانها في النمسا في الاسبوع الثاني من شهر فبراير الماضي ، حرباً بين حكومة وطائفة من رعيتها فحسب ولا كانت دفاعاً من حزب كبير في امة جمهورية عن كيانه فحسب بل كانت معتركاً لقوى عالمية عظيمة : الفاشستية والدكتاتورية من ناحية والاشتراكية والدمقراطية من ناحية ، الرأسمالية في جانب والتعاون الاقتصادي او الاندماج الاقتصادي في الجانب الآخر . والنزاع الداخلي في جمهورية النمسا ، الذي ما زالت بواعثهُ تنهياً من زمن في الخفاء ، كان مظهراً لانفصال بين هذه القوى . فالاشتراكيون المسيطرون على عاصمة النمسا وأكبر مدنها ، كانوا عازمين على الدفاع دون سيطرة الفاشستية على الامة ، ايّاً كان طابعها . والفاشستيون الذين قاوموهم كانوا منقسمين الى معسكرين ففي المعسكر الواحد اتباع هتلر ، وفي المعسكر الآخر انصار موسوليني . فوقفت اوربا ترقب نتيجة المعترك ، لانهُ ينطوي على الاجابة عن مسائل خطيرة — هل تتوسع المانيا في حوض نهر الطونة ؟ ما يكون مقام ايطاليا في قلب اوربا ؟ وما مصير الاتفاق الصغير ، اذ توسعت المانيا في اوربا الوسطى او بسطت ايطاليا عليها ظلّ نفوذها ؟ وما موقف فرنسا من هذا كلّهِ ؟ وكذلك استوقفت هذه الجمهورية الصغيرة انظار العالم ، كما استوقفتها امبراطورية آل هبسبرج في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٤ يوم مصرع الارشيدوق فرانز فرديناند في سراييفو

النزاع الماثل

النزاع الداخلي في النمسا ، الذي افضى الى الحرب الاهلية الدامية في فبراير ، نزاع ثلاثي ، بين الاشتراكيين وقوى الحكومة التي يؤيدها الهيمفهر والنازي النمسوي يؤيدهم النازي في المانيا

الاشتراكيون اقوياء في المدن مثل فينا ولنز ويمثلون نحو ٣٥ في المائة من الناخبين . ومع انهم كانوا مسيطرين على بلديات المدن ، كانوا عاجزين عن التأثير في شؤون الجمهورية العامة . ولما كان برنامجهم السياسي والاجتماعي تقع وقعاً حسناً في نفوس عمال المصانع على الغالب كان نفوذهم ضعيفاً في الولايات الريفية والزراعية . ولكنّ سكان العاصمة فينا نحو مليوني نفس — وهم ثلث سكان الجمهورية — وفيها معظم ثروة البلاد ، لذلك كانت حكومتها الاشتراكية ومشروعاتها هدفاً لتبرم الناس في الارياف

ويواجه الاشتراكيين الحزبَ الاشتراكي المسيحي (وهو ليس اشتراكيّاً) يؤيدهُ الفلاحون الكاثوليك والطبقة المتوسطة في الولايات ، وعدد الناخبين المنضوين تحت لوائهِ يعادل عدد الناخبين المؤيدين للاشتراكيين . ومن اعضاء هذا الحزب رجال منتظمون في الهيمفهر وهو فرقة عسكرية

فاشستية النزعة ، تميل الى اعادة الملكية وتجريد الاشتراكيين من اي كلمة تفوز في تصريف شؤون البلاد

اما الفريق الثالث فهو فريق النازي النمسوي يؤيدهم اخوانهم في المبدإ والعقيدة في الربع الثالث (المانيا) . ولما كانت النمسا لم تحدث فيها انتخابات في السنتين الاخيرتين فمن المتعذر تقدير عدد أنصار النازي في الشعب النمسوي وانما يقول بعض المعروفين بصحة الحكم ان نحو نصف الامة النمسوي يرغب في قيام حكم نازي . ومع ان النازي والهيمفهر متفقان في كثير من أصول خطتهما الا أن النازي يرغب في انضمام النمسا الى المانيا حالة ان الهيمفهر يعلن ضرورة الاحتفاظ باستقلال النمسا

الاشتراكيون واعداؤهم

لما هوت أسرة هبسبرج عن عرش النمسا والمجر في سنة ١٩١٨ تعاون الاشتراكيون في النمسا مع الاشتراكيين المسيحيين على انقاذ ما تبقّى لهم من امبراطوريتهم التاريخية فتصدّوا لانتشار الشيوعية وصدّوها . فوقفوا في وجه دعاة المذهب الماركسي ، ومنعوا حدوث نضال دموي بين العمّال والطبقات المتوسطة . ومن غرائب الاقدار ان طائفة من هؤلاء الذين انقذوا النمسا من الماركسية بعيد الحرب قتلوا في الاسبوع الثاني من فبراير الماضي بحجة انهم من اتباع ماركس

والواقع انهُ منذ ما أنشئت جمهورية النمسا ، نشأت عداوة فيها بين الفلاحين والطبقات المتوسطة في الناحية الواحدة ، وبين الفلاحين والاشتراكيين في الناحية الاخرى . ولما كان الاشتراكيون المسيحيون يخشون سيطرة الاشتراكيين على فينا طلبوا انشاء حكومة اتحادية ، بدلاً من تركز اعمال الحكومة التنفيذية والتشريعية في فينا على نحو ما طلب الاشتراكيون . بيد ان الفريقين تعاونا على اخراج دستور اتحادي بعد مساومة طويلة فاحتفظ الاشتراكيون بمقتضاه بالسلطة في العاصمة وقبض الاشتراكيون المسيحيون على اعنتها في الولايات . الا أن الهوّة بين الحزبين لم تردَم . ذلك ان التعاون الذي تقتضيه الصناعة يتنافر مع النزعة الفردية السائدة في الولايات الزراعية ، والشعور الديني الذي يسود الفلاح في الارياف مناقض للنزعة الدنيوية في العاصمة . وكثيراً ما هدّد الفلاحون بالانقضاض على العاصمة من اوجارهم في الجبال ، لابادة أبناء سدوم وعمورة ! فالحاجز بين سكان فينا وسكان جبال التيرول وكارنثيا وستيريا ليس الجبال فقط بل النظر الى الحياة ، وهو اهمّ

ووجد الفلاحون انصاراً لهم في المدن في جماعات الملاّك ، لان هؤلاء معادون للاشتراكيين ، لثقل الضرائب التي كانت تفرضها عليهم حكومة فينا الاشتراكية ، لكي تبني بها مساكن حديثة النظام للعمّال . لذلك لما شبّت نيران الحرب الاهلية في فبراير ، صوّبت مدافع اعداء الاشتراكيين الى « كارل ماركس هوف » وغيره من المباني الحديثة التي أقامتها البلدية لسكنى العمال

بيد ان الاشتراكيين لم يعمدوا الى فرض الضرائب على الملاك بعامل الحسد من ثروتهم . ولكن البلدية الاشتراكية واجهت مشكلة خطيرة في فينا عند تقلدها أزمة الحكم هي مشكلة نقص المساكن

عما يحتاج اليه سكان المدينة . ففي عهد الامبراطورية كان عمال فينا يقطنون مساكن كحظائر القطعان ، بل ليقال ان أولفاً من الاسر كانت لا تجد الاسرة منها الا غرفة قذرة صغيرة لسكناها وكانت مع ذلك غالية الاجر لان أصحابها من الملاك كانوا من أصحاب المكانة السياسية في البلاد . وهتلر يؤيد هذا في كتابه الموسوم « كفاحي » مع انهُ من أعداء الاشتراكية

سنَّ الاشتراكيون في فينا قوانين حددوا بها اجور المساكن في العاصمة وفرضوا ضرائب ثقيلة على العقارات ، وبما حصلوا عليه من مال الضرائب شرعوا يبنون مباني ضخمة حديثة ، قطنها نحو ستين الف اسرة من اسر العمال . وبلغ من نجاح الاشتراكيين في عملهم هذا ، ان اصبحت مبانيهم هذه مثالاً يحتذى في تشييد مساكن للعمال في أكبر مدن العالم . ولما كانت اجور السكن في هذه المباني رخيصة كل الرخص ، فقد كان من المعقول المتوقع ان تصبح هذه الصروح معاقل للاشتراكيين . وكذلك اصبح الملاك في عنف حنقهم على الاشتراكيين يحسبون هذه المباني غولاً غير طبيعيّ في العاصمة . ثم ان حكومة فينا الاشتراكية عمدت كذلك الى الاستيلاء على المرافق العامة وجعلت تنفق ما تحصل عليه من الربح والضرائب في تحسين الحال الاجتماعية من صحة وسكن وأجور ورفد في حال التعطل عن العمل — كل هذا دبَّرت لهُ حكومة فينا الاشتراكية ادق تدبير . اما اصحاب المصانع والمتاجر والمباني فكان عليهم ان يسددوا نفقة هذا الاصلاح

قيام الفاشستية

فلما امتدَّ ظل الكساد الناشىء عن الازمة العالمية ، فوق اوربا الوسطى ، اتسعت الهوَّة بين الملاك والاشتراكيين . وكان لتطور الحال في المانيا وايطاليا اثر كبير في النمسا . وجعل الفلاحون الجبليون يميلون الى القوى المعارضة لدعاة الماركسية . يضاف الى ذلك ان ما يصحب النزعة الفاشستية من جلال ومجد ملأ في صدور النمسويين ذلك الخواء النفسي الذي احدثه سقوط اسرة هبسبرج الامبراطورية . وما كان الفلاح ليهتم بالمباحث النظرية في اسباب الكساد العالمي وبواعثه بل كان لا يفهم الاَّ ان الازمة آخذة بالخناق ولا يطلب من الحكومة الاَّ مدداً للعيش . هنا توسط دعاة الفاشستية في النمسا فقالوا للفلاح ان السبيل الوحيد الى الخلاص انما هو إبادة الاشتراكيين

في هذا الجوّ نشأت فرقتان عسكريتان : الاول « الشوتزبند » الاشتراكي وعدد افرادها مائة الف و « الهيمفهر » المقاوم للدمقراطية وعدد رجاله ستون الفاً . ومع ان الهيمفهر جمع معظم رجاله من الفلاحين وابناء الطبقات المتوسطة في الارياف ، الاَّ ان مدده المالي كان مستمداً من اصحاب المصالح الصناعية والتجارية الذين كانوا يرضون في القضاء على الاشتراكيين . ويقال ان الهيمفهر أصاب كذلك مدداً ماليًّا في المانيا وايطاليا . اما البرنس فون ستارمبرج فخلع على هذا الفريق ثروتهُ واسم أسرته التاريخي المجيد

فلما ارتفع كوكب الهر هتلر في سماء السياسة ، اخذت حركة النازي في النمسا تتسع وتنمو .

فأيدها اولاً رجال «حزب الجامعة الجرمانية» والتحقت اليهم طائفة من رجال الهيمفهر لانها معادية لليهود والاشتراكيين على السواء . واخذ الفلاح النمسوي يميل من هبسبرج الى هتلر . فما اهلّت سنة ١٩٣٣ كانت تلك الجمهورية الصغيرة معتركاً لجيوش خاصة مدرّبة ومنظمة ينادي بعضها بسقوط الجمهورية

فما تمّ النصر للنازي الالماني في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ بتعيين الهر هتلر مستشاراً للرخ ، اخذ زعماء النازي في النمسا يتصوّرون زحف اصحاب القمصان السمر من المانيا الى فينّا . ولكنهم حينئذٍ لم يحسبوا حساباً للدكتور دولفوس . ذلك انّ دولفوس اصدر امراً في يونيو سنة ١٩٣٣ بحل الحزب النازي فكان في نظر بعض مواطنيه كالفتى داود يقاوم جليات الجبّار (طول دولفوس ٤ اقدام و١١ بوصة مع ان متوسط طول الرجل قريب من ٥ اقدام و٦ بوصات) . وفي خلال ذلك كان النزاع بين الاشتراكيين والمسيحيين الاشتراكيين في البرلمان النمسوي ، عنيفاً كل العنف ، فحال نزاعهم دون العناية بالتشريع . ومع ان الهر دولفوس كان في حاجة شديدة الى مدد لمقاومة النازي خشي ان يتفق مع الاشتراكيين لان الهيمفهر وحزب المسيحيين الاشتراكيين يعارضان في ذلك . فجارى رغبتهما في تشديد الخناق على الاشتراكيين وسنّ قوانين تضعفهم وحل جيشهم الخاص المعروف «بالشوتزبند»

فلما اقبل الخريف تبيّن لمراقبي الحالة في النمسا ان الدكتور دولفوس يعتمد على الجيش النظامي والهيمفهر ، وزعة وطنية جديدة عمد الى خلقها في نفوس اتباعه ، في مقاومة النازي والاشتراكيين . وفي سبتمبر وعد باحداث تعديل دستوري على نمط الدولة المندمجة الايطالية فتحلّ النقابات والمتحدات الصناعية والزراعية محلّ الاحزاب ، ويتصافق العمال والفلاحون . ولكن هذا الوعد لم يكن قد أُنجز لما وقعت الحرب الاهلية في الاسبوع الثاني من فبراير

وفي خلال ذلك اشتدّت حملة النازي في النمسا ، وبدت في الهيمفهر دلائل الاستعداد على الاتفاق مع النازي النمسوي مع ان زعماءه اعلنوا انهم مقاومون لهتلر . وكذلك واجه الهر دولفوس مشكلة معقّدة ، وهو منها على مفترق الطرق . وزادت المسألة تعقيداً وارتباكاً لما ظهرت لجان من الهيمفهر امام حكام الولايات مطالبة بانشاء نظام فاشستي وحلّ جميع الاحزاب بما فيها حزب المسيحيين الاشتراكيين مع ان هذا هو حزب الهيمفهر . فلما ذهب دولفوس في رحلة الى بودابست في اوائل فبراير ، امر نائب المستشار الماجور فاي — وهو زعيم الهيمفهر — رجال البوليس بمهاجمة اشتراكيي فينّا . فقام زعيم من حزب المسيحيين الاشتراكيين في مجلس فينّا البلدي واقترح التعاون بين الاشتراكيين والمسيحيين الاشتراكيين . ولو ان اقتراحاً من هذا القبيل جاء قبل سنة ونصف سنة لامكن تعاون هذين الحزبين في مقاومة النزعة الفاشستية ، من قِبَل النازي كانت او الهيمفهر . فرأى زعيم الهيمفهر في هذا الاقتراح خيانة وسلّم دولفوس برأيه فضرب الاشتراكيون الضربة الثانية . ولكن الشوتزبند وهو جيش الاشتراكيين ظلّ محتفظاً بنظامه واسلحته ، رغم صدور الامر بحلّه في منتصف السنة السابقة فقاوم الحكومة وأتباعها مقاومة عنيفة اراقت الدماء في فينّا وغيرها من المدن

وكان دولفوس يظن ان سير الامور في النمسا ، يتبع سيرها في المانيا ، حيث خضع الاشتراكيون الدمقراطيون لاوامر هتلر من دون كفاح ولكنهُ أخطأ التقدير

فأيدي الفاشستية في النمسا ملطخة بالدم ، ولا ريب في ان ملايين من النمسويين المؤمنين بالمبادىء الاشتراكية ، يكنّون في قلوبهم كرهاً شديداً لدولفوس وذاي والبرنس ستارمبرج . وعند ذلك فقد يجد رجال الحزب النازي النمسوي ، مرتعاً خصباً لدعايتهم بين هؤلاء الاشتراكيين لان زعماء النازي النمسوي وقفوا بمعزل عن النزاع الدموي ينتظرون سنوح الفرصة

وقد كان الهيمفهر شديد الصخب عالي الضجة في شؤون النمسا في العهد الاخير ، الاّ انهُ لا يمثل اكثرية من الشعب . ولكنهُ مع ذلك الحرس الشاكي الذي تعتمد عليهِ الحكومة القائمة . وقد يكون في نية الهيمفهر ، ان يتبع خطة التعاون مع موسوليني ، سواء رضي ان بجارية دولفوس في ذلك او لم يرضَ ، وفي تلك الحالة قد يحاول زعماؤه القضاء على الاشتراكيين والنازي ، اذا حزب احد الحزبين ان يرفع رأسهُ . او قد يحاول زعماء الهيمفهر ان يتفقوا مع هتلر ، فيتمّ بذلك الاتحاد المعنوي بين النمسا والمانيا ، وهم يطلبون في هذه الحالة ان تبقى مقاليد الامور في النمسا في أيديهم

النزاع الخارجي

لما هوت امبراطورية النمسا والمجر في آخر الحرب الكبرى ، تألّفت جمهورية النمسا وحدة اقتصادية بقراءة . لذلك سعت المانيا والنمسا الى توحيد البلادين من الناحية الاقتصادية على الاقل . وكان الاشتراكيون الدمقراطيون في كلا البلادين مؤيدين لهذا التوحيد ، رغم ما فرضتهُ الدول الظافرة دونهُ من الحوائل . لذلك حاول الدكتور برونغ المستشار الالماني في مارس سنة ١٩٣١ ان يتفق مع الدكتور شوبر النمسوي على انشاء اتحاد جمركي بين المانيا والنمسا . فأحدثت هذه المحاولة ازمة اوربية حينئذٍ ، وحكم على المانيا والنمسا بالتخلي عن هذا المشروع

فلما اتسع نطاق الدعوة التي نشرها هتلر ، تجدّدت العناية بمسألة الاتحاد . ذلك انهُ اذا اشتدّ ساعد النازي النمسوي وقامت حكومة نازية في فينّا ، أصبح ضمّ النمسا الى المانيا مستطاعاً من دون خرق مواد معاهدات الصلح او قرارات مجلس السفراء التي تمنع ذلك ، على ان يكون هذا الضمّ معنويّاً لان كل حكومة نازية تستمدّ مبادئها وارشادها من هتلر . وكذلك تصبح اذا وقع انقلاب نازي في النمسا ، مدن فينّا والبروك وسلزبرغ وكأنها سهام نازية مسدّدة الى قلب اوربا . وهذا يقيم في وجه فرنسا وايطاليا وتشكوسلوفاكيا وبلاد شرق اوربا الجنوبي مشكلات دولية خطيرة تتصل بحياتها القومية اوثق اتصال

فلما زار السنيور سوفتش وكيل وزارة الخارجية الايطالية فينّا من عهد قريب ، علق في تصريحاته شأناً خطيراً بضرورة الاحتفاظ باستقلال النمسا . وقد تراءت الشائعات بأن موسوليني قد أيّد الهيمفهر تأييداً ماليّاً وسياسيّاً اعتقاداً منهُ انهُ القوة الوحيدة التي تستطيع ان تصدّ هتلر ، وتحول النمسا

الى اداة مطواعة تستعملها سياسة ايطاليا الخارجية في اوربا الوسطى وما يليها من جنوب اوربا الشرقي

ومن المتعذر الآن التكهُّن بالمستقبل ، وهل تنتهي الحالة في النمسا بفوز موسوليني او هتلر . ولكن في شمالي ايطاليا ، شعب المانى غير راضٍ عن حالته ، فليس من المرجح ان يقنع موسوليني بالتفرُّج اذا حاولت المانيا تأييد النازي النمسوي حتى يفوز بتقلد ازمّة الحكم في البلاد

أما فرنسا وتشكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا فقد كانت مصالحها ولا تزال مرتبطة بالمحافظة على استقلال النمسا وبقاء نظام الحكم دمقراطيًّا فيها . فالقضاء على الاشتراكيين في النمسا ، يزيل سندها الاخير في قلب القارة الاوربية . ثمَّ ان يوغوسلافيا تتبع الشؤون النمسوية بعناية وقلق . فقد مضى عليها ردح من الزمن وهي تواجه ايطاليا حريدة على الضفة الاخرى من البحر الادرياتيك . فاذا استقلَّ الهيمفر بالحكم في النمسا ، وكان مؤيداً من موسوليني ، اصبح صلة بين ايطاليا والمجر ومكَّن ايطاليا من اتمام الاحداق بيوغوسلافيا

وتشكوسلوفاكيا يهمها طبعاً مصير النمسا وقد اعلنت بلسان وزير خارجيتها انها تعارض في عودة آل هبسبورج الى عرش فينّا وانها متفقة مع دول الاتفاق الصغير (تشكوسلوفاكيا ورومانيا ويوجوسلافيا) على سحب وزرائها المفوَّضين من فينّا يوم دخول البرنس اوتو وانها قد لا تحجم عن استعمال القوة لمنع هذا . ويقال ان بنش والرئيس ماساريك ايَّدا اشتراكيي فينّا تأييد معاضدة ومبدإ . أما المصلحة فختيهما من استفحال امر الفاشستية في النمسا ـ هتلرية كانت او موسولينية ـ وأما المبدأ فايمانهما بالنظم الدمقراطية . وشد ما يخشيانه على تشكوسلوفاكيا قيام حكومة نازية في النمسا لان ضمن حدود تشكوسلوفاكيا اقلية المانية كبيرة عددها ثلاثة ملايين ، لا بدَّ ان تضلع مع النازي بعد ما ترى سلسلة الانتصارات الباهرة التي فازت بها السلالة الالمانية في ظل النظام الهتلري

أما فرنسا ، المعنية الآن بشؤونها الداخلية ، فتدرك ما لمصير النمسا من الشأن الخطير ، في بناء السياسة الاوربية . ذلك ان القنابل التي وجهت الى مباني العمال في فينا ، كانت قنابل معنوية موجهة كذلك الى معاهدتي فرساي وسان جرمان . وفوز النازي في النمسا تهدِّد خطر لفرنسا وحلفائها . بيد ان تفوُّق النفوذ الايطالي في فينّا من الجهة الاخرى ، يعني تهديدًا آخر لنظام التحالفات الذي انشأته فرنسا — تحالفها مع دول الاتفاق الصغير — والذي تستند في تفوقها العسكري وضمان سلامتها . فاذا اصبحت النمسا اداة في يد السياسة الخارجية تعذَّر اتصال فرنسا بحلفائها في قلب اوربا وجنوبها الشرقي . وكذلك يمتد ميدان النزاع بين ايطاليا وفرنسا من افريقيا الى البلقان

يقابل ذلك ان مساعي النازي الالماني لتأييد اخوانهم في النمسا ، مهَّد السبيل الى شيء من التفاهم والتقرُّب بين فرنسا وايطاليا . اما بريطانيا فقد ضمنت استقلال النمسا ولكنها لا ترغب في ان تزجَّ في معترك المشكلات الاوربية المعقدة ، وأملها ان تستطيع النمسا الاحتفاظ باستقلالها بطريقة ما وتكفيها مؤونة التدخل . واما خطة المجر فهي التأهب والانتظار تميل الى الجانب الذي ترجِّح لهُ الفوز

هنري : پوبي

على عرش التنين في منشوكو

في الطرف الشرقي من قارة آسيا العظيمة يعيش شعب عدد نسمائه اربعمائة مليون او يزيدون ، تناوبت عليه حالات اشبه بالحالات التي انتابت الدولة الرومانية قبيل سقوطها

كان امبراطرة الصين يعتقدون قديماً انهم ابناء السماء ، وكفى بذلك دليلاً على الارستوقراطية العريقة والمجد التالد. وكان الشعب الصيني يعتقد ان ابناء السماء اذا حكموا فانما هم بامر السماء يحكمون وان ما يصدر عن ابناء السماء وهم متربعون على عرش التنين ، تنزيل لا ينقض وامر لا يُرد ، فكنت ترى الشعب الصيني في يد ابناء السماء كأنهُ العجينة تكيفها الاهواء. ولكن ما زالوا يتداولون من الارض شيئاً فشيئاً وحالاً بعد حال حتى انقلب الحكم في بلادهم بين عشية وضحاها ، وتبخر عرش التنين واذا به محل لحكم جمهوري فج لمعت في سمائه اسنة الحراب . وقضي الامر . وامر احد ابناء السماء في قصر من قصور اجداده القدامى ونزل عن سماويته العليا الى ارضيتنا المتواضعة

ولكن . . . نعم . ولكن ليخرج من قصر الامر الى عرش التنين مرة اخرى . غير انهُ عرش لم يبقَ من قديمهِ الا الاسم ، لان دُسْرَهُ اخذت هذه المرة من الامة اليابانية ، لا من الجبروت السماوي . واذا الامبراطور « پوبي » ابن السماء في الامبراطورية الصينية العظيمة قد اصبح « هنري » ابن الارض في دولة « منشوكو » وهي منشوريا احدى مقاطعات الصين قبلاً ، في مصورات الجغرافية. واي عجب في هذا ! ، ان اجداد « هنري پوبي » خرجوا من منشوريا منذ قرون غزاة فاتحين ، فتبوؤا عرش التنين في عاصمة الصين ، وورثوا بنوة السماء . ولكن الظاهر ان السماء زهدت فيهم الآن فردّت وريثهم من غربته الطويلة الى حيث خرج آباؤه اول مرة غزاة تحفق على رؤوسهم درافس الحرب ، يزجون تحتها الصفوف الى المواقع المحجلة بالنصر والظفر

من سهول منشوريا الفسيحة خرج اجداد « هنري پوبي » . وهو الآن يعود الى منبته الاصلي . ففي القرن السابع عشر هبطت اسرة « المنشو » من سهول الشمال الفسيحة بجيوشهم الجرارة ميممين نحو الجنوب ، بعد ان اخضع جدهم الاول « نو — أوراشو » جميع القبائل التوية التي كانت تتصل بتخوم بلاده واذلّها . وما زالوا يجتاحون في بلاد الصين السهول والحزون حتى واجههم سور الصين الاعظم فذكوا منه جزءا لينفذوا الى « بكين » عاصمة الصين المحرّمة على غير ابناء السماء . ولكن من ذا الذي اعطى لاسرة « منج » وثيقة بأنها وحدها من ابناء السماء ؟ ولماذا لا تختار السماء من ابنائها من هو اصلح لحكم الصين من اسرة قديمة أكل عليها الدهر وشرب القدم ؟ وكذلك انتزع القدر عرش التنين من اسرة « منج » ليجلس عليها اسرة « شنج » اول امبراطرة « المنشو » ولكن ليبقيهم عليه ٢٦٦ سنة لا غير

لقد كانت تلك الاسرة من اعظم الاسر التي عرفها عرش الصين القديم . وعلى أيدي امبراطرتها العظام تسنمت الصين آخر عهدها بالمجد العالمي كأمة متحدة ووحدة سياسية عظيمة . فمن اجداد «بوبي» هكذا من اعظم الملوك الذين يذكرهم التاريخ على مدى العصور وفي كل بقاع الارض . حكم كل منهما ستين سنة ، مع فاصل ضئيل من الزمان بين حكميهما ، فلم تفق الصين امة اخرى من أمم الارض قوة ونفوذاً ومدنية في عهدهما

ولقد اخطأ المؤرخون اذ نعتوا لويس الرابع عشر بأنه اعظم ملوك الارض في القرن السابع عشر . اما الحقيقة فان الامبراطور «كانج هسي» في بكين كان اعظم ملوك الارض في ذلك الزمان . فقد حكم امبراطورية لا تعد فرنسا برمتها الا احدى مقاطعاتها ، وسعى الى توسيع ملكه كما سعى لويس الرابع عشر ، ولكنه امتاز على الملك الفرنسي بأنه لم يرض بأن يقوم ملكه على القوة وحدها فعززها بترقية الفنون والمعارف وكل ما يتعلق بمدنية الروح الى جانب كل ما يتعلق بمدنية المادة

وبعد ان مات هذا الامبراطور العظيم (سنة ١٧٢٢) بأربعة عشر سنة تسنم عرش التنين حفيده الامبراطور « شيان منج » فحكم الى سنة ١٧٩٦ ، فبرهن انهُ خليق بأن يكون من سلالة جده العظيم . فوسع في اطراف امبراطوريته ، وأمّتهُ ملوك آسيا الشرقية اجمعين يحملون اليهِ الجزية او يتقربون اليه بذلك . وكان في الصين كآل مديشي في ايطاليا . فكان شاعراً وكاتباً ومؤلفاً وحامياً للعلم ووليًّا للفنون وناصراً للثقافة ومحبًّا للعمران . ولا غرو ان يحتم «شيان منج» ان يسجد له سفراء الملك «جورج الثالث» عند ما ارسل بهم الى الصين في مهمة سياسية . ولقد عدَّ عليه كثير من مؤرخي اوربا هذا الامر ، ونسوا انه كان على عرش التنين يستمد القوة من السماء ليحكم امبراطورية عالمية هي اكبر امبراطورية في الارض لعهده ، ومن حوله بطانة من العلماء يملأون طباق الارض علماً ، وحاشية من المثقفين على اخص قواعد التثقيف في بلاد لم يعرف اهلها من اوستوقراطية ، الا اوستوقراطية العلم والثقافة . فلما مات «شيان منج» آذنت شمس الصين بالمغيب ، ودقت ساعة الانحلال ، فتعاقب على عرش التنين خمسة امبراطرة خلال القرن التاسع عشر ، كان اللاحق منهم اضعف من السابق ، والخلف اسوأ من السلف . على أنه من عجب ما يروي التاريخ ان هذه الاسرة لم يحمها على عرشها المزعزع خلال خمسة العقود الاخيرة في القرن التاسع عشر ، الا بسالة امرأة هي الامبراطورة « تسوهسي» التي عاصرت الملكة فكتوريا ، حتى قيل ان طرفي الارض اصبحا أشبه بكفتي ميزان في احداهما « تسوهسي » تسوس الشرق وفي الاخرى « فكتوريا » تسوس الغرب

وكانت امرأة من الجبابرة جمعت بين رجاحة العقل وكبر القلب ، وعرفت قيمة القتل والاغتيال وسفك الدماء في سبيل الاحتفاظ بعرش آذنت ساعته ودبَّ فيه الفساد . فحكمت الصين حكماً فعليًّا برغم انها كانت زوج امبراطور سابق سقطت عوناتها من اريكة الملك . ولكن من ذا الذي يقف في وجه الذئبة العبراء ؟ وهكذا حكمت هذه الامبراطورة الصين باسم من جلس على عرش التنين من الامبراطرة ، ومن ورائها رجال يحفون تحت دفوفهم بمدى محدودة تطير من صفحاتها شرارة الموت تحت جنح الليل

وفي وضح النهار. ولكن الانحلال كان اقوى من ان يحول بينه وبين الصين مدية تتذرع بها «تسوهسي» الى قتل ثائر او اقصاء رجل ظهرت عليه بوادر التطلع الى الاصلاح. فان تحرش اوربا بالصين كان قد بدأ يهز عرش التنين من اساسه، واجترأت مدن اوربا الحربية ان تدك بكراتها المتفجرة حصون الصين وتنزل الى الارض الحرام اول فوج من جيوش اوربا. وكانت المبادىء والآراء الاوربية اخذت تتغلغل في الوحدة الصينية فتمزق منها ما رأبت السنون، وبدت بوادر الشقاق الاجتماعي تظهر في صور مختلفة، وكانت اول بادرة منه ظهور «صن يات سن» مزوداً بالمبادىء والتعاليم الاميركية ليرأس اول عصبة ثورية في ارض خضعت لابناء السماء حتى اصبح اندلاع ألسنة الثورة قاب قوسين او ادنى

وفي سنة واحدة مات الامبراطور «كوانج هسو» والامبراطورة «تسوهسي». وعلى اثر موتهما سنة ١٩٠٨ تبوأ «بويي» وعمره ثلاث سنوات عرش التنين وهو احد ابناء عمومة الامبراطور المتوفى. فكان حكمه قصير المدى اذ شبت الثورة سنة ١٩١١ فتنازل عن العرش سنة ١٩١٢ وجاء في اعلان تنازله انهُ يترك العرش بعد ان ظهر له ان الشطر الاعظم من شعبه يفضل حكومة جمهورية على حكومة ملكية. ولكن شاء القدر ان ينزل «بويي» عن عرش لم يكن قد ذاق بعد حلوه ولم يعرف مرَّه لصغر سنه، فأذن لهُ رجال الجمهورية ان «يعيش» وان يعطى ٤٠٠٠٠٠٠ رطل من الفضة راتباً سنويًّا وان يبقى في احد قصور «بكين» اسيراً تؤدَّى له كل المراسم الامبراطورية

على ان طالع زحل قد ادرك الجمهورية ايضاً، فانها نبتت في ارض الصين كأنها نبات طفيلي من الفطريات، فكانت سريعة النمو سريعة الزوال. ذلك لان الجمهورية لم تلبث غير قليل حتى تفجرت من حولها الثورات والحروب الاهلية. وبدأت بوادر هذه الحرب تظهر في سنة ١٩١٧ عند هبوط شخص يدعى (شانج سون) كان قاطع طريق ورئيس عصابة خارجة على القوانين جاهلاً مسناً ولكنهُ كان من انصار الملكية، وعلى الرغم من ان الجهر بالنزعة الملكية كان عقابه الموت، فانهُ رفض ان ينزع عن بزته الشارة الملكية، ومضى يسير مختالاً بها في شوارع بكين

على ان هبوط هذا الرجل عاصمة الصين لم يكن «نذيراً» بالحرب الاهلية وحدها، بل كان نذيراً كذلك بان الراحة التي استمتع بها «بويي» سوف تعصف بها أهواء ذلك اللص السفاح. غير ان ما حدث بالفعل ليس من المستطاع معرفته على وجه التدقيق، بل الظاهر ان في احدى الليالي كان «شانج سون» يقصف مع رجاله عند باب من ابواب المدينة الجنوبية فاكل وشرب وذهب الى مسرح فشهد رواية تاريخية تقص طرفاً من عظمة الصين وجبروت امبراطرتها فلما لعبت الخمر برأسه يمم نحو المدينة «الحرام» واقتحم القصر الملكي ودخل الى الجناح الذي يشغله الامبراطور المعزول، وايقظ الامبراطور الفتى الذي لا يتجاوز من العمر اثنتي عشرة سنة وجرَّه الى ردهة التتويج والبسه الاردية الامبراطورية الصفر وحياهُ التحية التقليدية التي كان يحيِّي بها الشعب ابناء السماء عند تبوئهم عرش التنين. ولكن ابن السماء كان مذعوراً. وكان يبكي بكاءً مرًّا

أما حاشية الامير فلم تكن اقلّ ذعراً منهُ ، لان رجالها كانوا يعرفون ما سوف يسفر عنه الغد القريب . ولم يطل انتظارهم ، ففي بكرة الصباح تحركت جيوش الحكومة وبعد معركة قصيرة انهزم « تسانج سوين » وتبددت قواته ؛ فلجأ هو الى السفارة الدنمركية ليحتمي بها . ولكن بقي بعد ذلك ما ينتظر من سخط الحكومة على الامبراطور الطفل . فلم يحدث شيء سوى ان ارجع الامبراطور الى الاجنحة المخصصة له في القصر وأغلقت عليه الابواب ، وتكفف على عيشته الهادئة ، اللهمّ الاّ بعض ذكريات مؤلمة خلفتها تلك الليلة الرهيبة مرسومة على صفحات نفسه

وظلّ الامبراطور يطوي العمر في هدوئه وبين جنبات قصره الفسيح ، والمدافع من حوله تدوي والثورات تتوالى والحروب تأكل الاخضر واليابس ، فلا يسمع لها دويًّا ولا يأبه لشيء منها . وكانت موجة التجديد قد اجتاحت كل نواحي الصين ، حتى لقد استطاعت ان تقتحم جدران القصر الملكي الضخمة ، فدخل لأول مرة الى ذلك القصر معلم انكليزي يثقفه في المعرفة الحديثة . ولكنه اراد ان يجرع التجديد جملة بدل ان يأخذه اجزاء ، فتعلم اللغة الانكليزية ومرن على ركوب الدراجة وخلع ملابس اجداده ولبس الاردية الاوربية ، وتسمّى باسم « هنري »

يا للاقدار : أيصح آخر سلالة ملوك الصين وامبراطورتها ، ابناء السماء وظلّ الله فوق الارض ، « هنري النصراني » ؟ اهذا الشاب هو سليل اولئك الجبابرة الذين كانوا لا يستقبلون سفراء الدول الاوربية منذ مائة عام ، الاّ والسفراء راكعون ، ولا يتقدمون اليهم الاّ جثواً على الركب ووجوههم نحو الارض ؟ غير ان الحوادث لم تترك هذا الشاب للجدد ماكفاً على عيش الهدوء والتأمل والتطلع الى العلياء من غير ان تعصف بهدوئه . ففي سنة ١٩٢٤ هبت على الصين عواصف حرب اهلية انتصر فيها « فنج يوسيانج » . وكان هذا الثائر الجديد مزيجاً من نزعات مختلفة فكان نصرانيًّا شيوعيًّا عالماً وقائداً مدرباً ودسّاساً من اقدر من انبتت ارض الصين . فلما قبض على ناصية الصين واحتلت جنوده عاصمتها فكر في ان يقضي على ذلك الرمز الذي يدعى الملكية الصينية . وعلى حين غفلة ومن غير ان يعرف احد ذلك السر نُقل « پوپي » من المدينة المحرم ومعه حاشيته الى « تنتسن » ولجأوا الى السفارة اليابانية ، وساءت حاله ونقص معاشه الى ٥٠٠ر٠٠٠ دولار كانت تعطى اليه كلما سمحت ظروف الخزانة ، واصبح يعيش سجيناً في بضعة امتار من ارض الصين وتحت ظل الراية اليابانية ، بعد ان كانت كلمة جدوده شريعة لاربعمائة مليون من النسمات البشرية

ومضى « پوپي » يعيش عيش الفقر والذل في ظل الحماية اليابانية حتى هيّأ القدر له ان تغزو اليابان منشوريا سنة ١٩٣١ وتجعل منها دولة مستقلة وتأخذ وديعتها في سفارتها الى عرش التنين في الارض التي خرج منها آباؤه غزاة فاتحين قبل ثلاثة قرون . فهل يصدق عليه قول الشاعر

والقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالاياب المسافر

أم ان القدر يخبأ له من مفاجآته ما لا يدور بخلد انسان ؟

الدمقراطية في فرنسا

هل تتجه الى الفاشستية

في السياسة أزياء ، كما في الادب والملابس . فروما القياصرة أخرجت للعالم زي « الامبراطورية » فتبعهُ العالم ثمانية عشر قرناً . ثم انشأت انكلترا « الحكومة المسؤولة » فكانت مطلب الامم في القرن التاسع عشر . وكان الحكم بواسطة مجلسين يوافق مزاج اهلها . فلقيت في عهده إقبالاً ورخاء فظنت الامم الاخرى ، ان هذا النوع من الحكم ، يوافقها كذلك

وتلا ذلك النجاح الذي اصابتهُ الفاشستية ، في ايطاليا ، والقضاء على الحكم البرلماني في روسيا ، فأصبح من زي العصر التنبؤ بزوال الديمقراطية . ففي المانيا نظام فاشستي وزعيم يملك سلطة دكتاتورية . وها هو ذا الدكتور دولفوس حاكم بأمره في النمسا . ولا ينكر ان ما يغذي الواحد قد يسمُّ الآخر . ولما سئل صولون الحكيم ، هل منح اثينا الدستور الكامل قال : انهُ منح تلك المدينة أحسن دستور يلائمها في ذلك الزمن . أي ان «الكمال» في الاشكال السياسية نسبي . ولا ريب في ان هناك تحولاً مشهوداً في نظام الحكم في هذا العصر ، فهل هو يهدد الدمقراطية في فرنسا

اذا قلنا إن تيار الفكر ، الذي قلب انظمة الحكم في البلدان المجاورة لفرنسا ، لم يلق تربة صالحة في بعض الاذهان الفرنسية ، كان الامر باعثاً على الدهشة والاستغراب . وقد مضت اشهر والفرنسيون يقرأون الدعوة الى تأليف حكومة فاشستية وكانت الدعوة صادرة من ناحيتين من اليمين — تحس فيها احياناً بنزعة بوفارتية واحياناً بنزعة ملكية ، ولكنها لا تعدو كونها خطباً تبين ما للسلطة الحازمة من الشأن في تسيير سفينة الدولة — ومن اليسار تدعو الى فاشستية اشتراكية راديكالية على مثال من دكتاتورية الشيوعيين في روسيا والفاشستيين في ايطاليا في آن واحد

فما هو امل هاتين الدولتين في النجاح ؟ لا ريب في ان التنبؤ كثير المزالق . لانهُ قد تقع حوادث لا يستطيع العقل أن يتصورها ، فتقلب التيار ، وتجعل النتائج المبنية على مقدمات معينة ناقصة ، مشوهة . فلننظر في اهم العوامل التي يمكن ان يبنى عليها حكم في هذه الناحية من الحياة الفرنسية الآن

اولاً — ان قلب النظام الدمقراطي في فرنسا يحتاج الى زعيم والى حزب يستند الى جيش فاشستي. فقد كان لموسوليني او لهتلر ، الوف من الاتباع . وكانوا يطوفون بفرق اتباعهم المنظمة يعرضونها في كل مدينة . وكانت قوتهم معروفة . وكانت الحكومات الضعيفة في بلاديهما لا تستطيع ان تقف في وجوههم ، لصد تيارهم الجارف . ولسنا نجد في فرنسا شيئاً من هذا فليس في فرنسا حزب له جيش منظم على ما نعلم . فاذا حاول بعضهم تأليف ذلك الحزب ، وتنظيم ذلك الجيش ، فالراجح ان الحكومة مؤيدة بالرأي العام وقوة البوليس السياسي لا تعجز عن كبحه وقمعه

ثانياً — ان انشاء هذا النوع من الجيش يجب ان ينبع من وجود تيرم شديد او شكوى صادقة

يشكو منها الشعب . ففي البولشفية كان ذلك التبرم تبرم العمال والفلاحين . ولكن الحركة الفاشستية تنشأ في الغالب من الطبقات الوسطى الفقيرة والباعث عليها في نفوسهم ، اما فقرهم المدقع الذي لا يحتمل ، او خوفهم من ثورة العمال . وفي المانيا تحقق الامران بل تحقق امر ثالث كذلك هو الحنق على معاهدة فرساي . اما في ايطاليا فان عنف الشيوعيين ومحاولتهم قلب الحكم واحداث الثورة ، كان الباعث الاول على انشاء الفاشزم ومحاربتهم كانت سبيلها الى النصر . أما في فرنسا ، فلسنا نجد أحد هذين الشرطين ، اللذين نكاد نجزم بأنهُ لا بدَّ منهما لتلقي الدعوة الفاشستية آذاناً صاغية

ومع ذلك لن ينكر ان الديمقراطية في فرنسا معرضة لاخطار كبيرة . ففي العاصمة وفي الارياف تألفت جماعات من دافعي الضرائب للاحتجاج على فداحة نفقات الدولة ، وعلى عبء الضرائب الذي يكاد يحني ظهورهم . وأمل هذه الحركة ، متغلغل في طبيعة الفرنسي وخلقه لانهُ يميل الى الاقتصاد . ولا بدَّ لحكومات فرنسا من اطارتهم كل انتباهها وعنايتها . فهل يمكن ان تصبح هذه الحركة نواة لتنظيم فاشستي ؟ ليس من السهل ذلك . لانها تلقى مقاومة شديدة من جميع موظفي الحكومة . وهذا يعني ان تبعة كبيرة تقع على عاتق هؤلاء . فخير لهم ان يتخذوا الحذر رائداً . فهم أول من ينتفع بالنظام القائم ، والحكمة واجب عليهم تقتضيهِ مصلحة الوطن من ناحية والمصلحة الخاصة من ناحية اخرى

ثم هناك تبرم الشبان . فحالة الشبان ، الذين اجتازوا امتحانات الطب ، او القانون ، او الهندسة تبعث على الاسى ، وباب الامل موصد في وجوههم . ففي عهد الوزير شيرون امتنعت الحكومة عن اتخاذ موظفين جدد . فاذا لم يتطلع الشاب المسلح بالشهادات العالية ، للخالي الوظائف ؟ ان في صفوف الشباب تبرماً وبعضهم يقترح نقص السن التي عندها يحال الموظف الى المعاش ، لكي تفتح امام طائفة كبيرة من الشباب أبواب العمل . ولخيرٌ للموظف الذي قضى عمره في خدمة الدولة ، ان تزيد مدة معاشه بضع سنوات على ان يترك الشبان يقودهم القنوط الى الثورة

يضاف الى ذلك الخوف من التضخم . فالفرنسيون الذين جمعوا بمجدهم واقتصادهم ثروة مايعتمدون عليها ، في الشيخوخة او أيام الضيق ، خسروا اربعة اخماسها لما وقع التضخم الاول ، وهوى الفرنك حتى جاء بوانكاره وثبته سنة ١٩٢٦ ومجرد التفكير في احتمال وقوع تضخيم آخر يدفعهم الى الجنون . صحيح ان افراد هذه الطبقة مسالمون ، وليسوا في سن الشباب ، ولكن ما يمنع الدعاة الثائرين من ان يستمدوا من صفوفهم قوة كبيرة ؟ فاذا عجزت الحكومات المتتالية عن حل هذه المشكلات التي تواجهها فرنسا ، فلا يبعد ان يشتد التبرم بالحال شدة تجعل انتشار الفكرة الفاشستية أمراً طبيعياً . والحال في باريس أوفق لنشوء الفاشستية منها في سائر المدن والمقاطعات الريفية حيث الديمقراطية فيها راسخة الاصول وفرنسا كبريطانيا تعوّدت الحرية وهي عادة يصعب الاقلاع عنها

على ان هذا لا يمنع اقامة زعيم ومنحه السلطة اللازمة لمدة معينة حتى يعالج مشكلات خاصة لان كل الاعمال العسيرة تقتضي سرعة لا يستطيعها رئيس الوزارة في بلاد ديمقراطية كثيرة الاحزاب كفرنسا ولقامة دومرج على رأس وزارة قومية تضم ستة من رؤساء الوزراء السابقين من هذا القبيل